حياة

شيخ الإسلام ابن تيمية

تقي الدين احمد بن عبد الحليم الحرّاني الدمشقي

المتوفّى سنة ٧٢٨ هـ

محاضرات ومقالات ودراسات

بقلم

علّامة الشّام الشيخ محمّد بهجة البيطار

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز الرحيم ، القائل في كتابه الكريم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً [1] » . والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، ورسول الأمة ، جامع الكلمة ، نبينا محمد ﷺ ، وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان .

وبعد فإن هذا الكتاب المسمّى بـ (حياة شيخ الإسلام ابن تيمية) قد نفدت نسخه ، وكان من منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر . واعتزم الأستاذ الفاضل زهير الشاويش مدير المكتب إعادة طبعه ، لما رأى من الإقبال عليه ، والرغبة في دراسته ، ففي طلائعه بيان ما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ، ففيه إيضاح ما كانوا عليه وما صاروا إليه بعد الاسلام من التوحيد الخالص ، والعلم النافع والعمل الصالح . وقد أمدّ الله تعالى ابن تيمية بكثرة الكتب ، وسرعة الحفظ ، وقوة الادراك

---

(١) سورة النور : آية ٥٦ .

والفهم ، وألف في أغلب العلوم التأليفات العديدة . وله الفتاوي المفصّلة ، وحلّ المسائل المعضلة ، وقد ذكر الحافظ الذهبي طائفة من مؤلفاته ، وعدّ منها كتاب « بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » أربع مجلدات ، و « إثبات المعاد » وكتاب « ثبوت النبوات عقلًا ونقلًا » وكتاب « الرّد على الحلولية والاتحادية » وكتاب « الدّرة المضية في فتاوي ابن تيمية » وكتاب « إصلاح الراعي والرعية » ثم قال الذهبي : وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد (قال) : وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، وقلّ أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها أقوال المذاهب الأربعة .

ولما طُلب منه أن يكتب عقيدته فقال اكتبوا : وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة : الإيمان بما وصف الله به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل .

وأما قضية الطلاق فهو في الاسلام لا يكون إلا عن ضرورة وبصيرة ، وقد روي عن ابراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يستحبُّون أن لا يطلّقوا أزواجهم بالسُّنة إلا واحدة ، ثم لا يطلّقون حتى تنقضي العدّة ، وما كان أخسّ عندهم من أن يطلق الرجل ثلاث تطليقات ، وقال مالك بن أنس : لا أعرف إلا واحدة .

رجوع المحاكم الشرعية إلى الطلاق الشرعي

وختمنا هذا البحث بما جاء في القانون المصري للمحاكم الشرعية من المقرّرات ، وهي منطبقة تمام الانطباق على ما قدمنا من مذهب الشيخين ابن تيمية وابن القيم والله أعلم .

[ترجيحه لمذهب السلف في أمر المعتقد]

كان الإمام ابن تيمية رحمه الله ينصر مذهب السلف الصالح بأدلة عقلية ونقلية ، ويرى رأي إمام دار الهجرة مالك بن أنس من أنه لا يصلح آخر هـذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وهو رأي كل حكيم علم بداء الأمـة ودوائها قديماً وحديثاً . ثم تحقيقه لوحدة الأديان ، وأخوّة الرسل الكرام عليهم من الله تعـالى أزكى التحية والسـلام ، ومن تصفح كتب العهدين القديم والحديث ، ومزامير داود وجدها طافحة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى والوعيد الشديد على الشرك ، مملوءة بالبشائر بظهور رسول الله محمـد عليه الصلاة والسلام . وانظر الشواهد على التوحيد الخالص من الشوائب (ص ٧٧ ـ ٩٥) وتليه مباحث العقل والنقل ، وأن من خالف صحيح المنقول ، فقد خالف صريح المعقول ، والرُّدودُ عقلاً ونقلاً على الفِرَق المخالفة ، ثم نقل عن الإمـام أبي الحسن الأشعري أن الإسلام يجمعهم فيعمّهم ، إلى (ص ١٢٨) وله مجموعة تفسير مطبوعة بالغة (٤٨٠) صفحة ما عدا فهارسها المنوعة ، وهي مما كتبه وهو منعزل عن الناس في خلوة السجن .

وبعد ذلك كلـه جرى حوارٌ بـين إمامي السنّة والشيعة ابن تيمية وابن المطهّر الحلي ، مع مقدّمة بيّنا فيها أن أضرّ شيء في الأمة الواحدة هو العصبية الموروثـة ، والتفرّق الذميم ، « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً لست منهم في شيء »[1] . وقد كان على من يعتقد العصمة للإمام علي عليه السلام أن يأخذ بأدبه وهَدْيه ، ويقف من محاربيه عنـد حدود أمره ونهيه ، وهاهي ذي أقواله وأعماله في « نهج البلاغة » وغيره :

---

(١) الأنعام : الآية ١٥٩ .

لقد بايع كرّم الله وجهه للأئمة الثلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، طبقاً لما أخبر به جدّه الصادق الأمين ، عليه وآله أتم الصلاة والتسليم ، وقال عن الخوارج : قوم بغوا علينا فقاتلونا وقاتلناهم ، ولم يرمهم بالكفر ولا بالنفاق . ثم دار الحوار بين الإمامين في إمامة الخلفاء الأربعة ، وفي اتباع أرباب المذاهب الأربعة . ثم ملحق للحوار بين السنة والشيعة في حقائق الذات الإلهية وصفاته التي لا يعلمها إلا هو سبحانه ، وبعده ملحق آخر ، وهو مقدمة في أصول التفسير للإمام ابن تيمية أملاها من فؤادة كما قال ، وهي تريك صفحة ناصعة من دراسة سلفنا للقرآن الكريم وفهمه (مطبوعة بدمشق) وبعده شذرات من كلام الإمام ابن القيم في التوحيد الخالص من جميع الشوائب . ثم جواب لي حول مقال النصير الطومي والوزير ابن العلقمي والإمام ابن تيمية وله ذيل طويل في موضوعه (١٨٦- ١٩٦) . وأضفت إلى ما تقدم أجوبتي وردّي لمطاعن الكتاب المسمّى (الإسلام) تأليف : الفريد غيوم ، وترجمة محمد مصطفى هدّارة ، والدكتور شوقي اليماني السكري ، وهذا الكتاب مؤلف من عشرة فصول في عرب الجاهلية وحياة الرسول ﷺ ، والقرآن ، والإمبراطورية الاسلامية ، وحديث الرسول ﷺ ، والسادس إلى العاشر في الفِرَق الإسلامية ، والفلسفة ونشأة العقائد والتصوف والإسلام في العصر الحديث ، وختمها بصلة الاســـلام بالمسيحية . وإن المترجمين الكريمين قد ملكا ناصية البيان العربي ، وقد قدّما له مقدمة عرّفا فيها القارىء بالمؤلف ، وأنه رئيس القسمين الأدنى والأوسط بمدرسة اللغات الشرقية وأستاذ اللغة العربية بجامعة لندن . وقد دفع إلي

مجمعنا العلمي هذا الكتاب ، فقرأته بدقة وإمعان ، فوجدت ما تركه المعلّق من الأغلاط أكثر مما ذكره ، فلم يسعني إلا أن أوجه أنظار المؤلف والقراء إلى الخطيئات التي لا يصح السكوت عنها .

وقد وردني كتاب من هذا المستشرق الكبير باللغة الانكليزية ـ عدا كلمات بالعربية ـ وقد تُرجم لنا .

استهلّه الكاتب بقوله : زميلي العزيز (وهو عضو في مجمعنا العلمي) وقد ضمنه أنه ناقل (عن مدرسة سيد أحمد خان) توجيه النظر إلى الأضرار الاجتماعية الناجمة عن تعدد الزوجات والطلاق والرق .

وأقول : إن الصديق العزيز الأستاذ خليل مردم بك رحمه الله هو الذي عهد إلي بالكتابة عليه ، جرياً على عادة مجمعنا العلمي في تحويل الكتب الدينية إلي ، فاقتصرت على ما كتبه حول القرآن الكريم وأجبت عن المسائل الثلاث : تعدد الزوجات ، والطلاق والرّق ، ولم أسندها إلى المؤلف .

وختمت بهذا الموضوع الكتاب كله ، وبيّنت الحكمة في تعدد أزواج الرسول ﷺ بعد الهجرة ، وبخلاصة ما يجب للمرأة وعليها ، وأعدّ هذين المبحثين من تمام دفاع الإمام ابن تيمية عن الإسلام ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

دمشق في ١٥ ذي القعدة ١٣٩١
الموافق ١ كانون الثاني ١٩٧٢

محمد بهجة البيطار